مجموع
الخطب المنبرية

سلسلة (ذكر الموت وما بعده)

الخطبة الثانية

الثبات 2 عند الممات

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ مِنَ الْحَقَائِقِ الْكُبْرَىٰ فِي هَذَا الْوُجُودِ: الْمَوْتُ؛ فَإِذَا قُلْتَ لِإِنْسَانٍ سَتَمُوتُ، بَلْ أَنْتَ مَيِّتٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]؛ يَعْنِي سَتَمُوتُ وَسَيَمُوتُونَ، هَذِهِ حَقِيقَةٌ لَا يَمْتَرِي فِيهَا أَحَدٌ.

وَكُلُّ النَّاسِ يَتَأَكَّدُونَ غَايَةَ التَّأَكُّدِ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُبْغِضُونَهَا وَيُبْغِضُونَ مَنْ يُذَكِّرُهُمْ وَيُوَاجِهُهُمْ بِهَا، وَإِذَا وُوجِهُوا بِهَا فَتَذَكَّرُوهَا؛ لَمْ يَعْمَلُوا

لَهَا، مَعَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاجَهَ بِهَا نَبِيَّهُ وَمُصْطَفَاهُ وَأَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَشْرَفَ خَلْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «تَوَقَّفْ!» – ٢٦ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٧هـ/ ٣١-٧-٢٠١٦م.

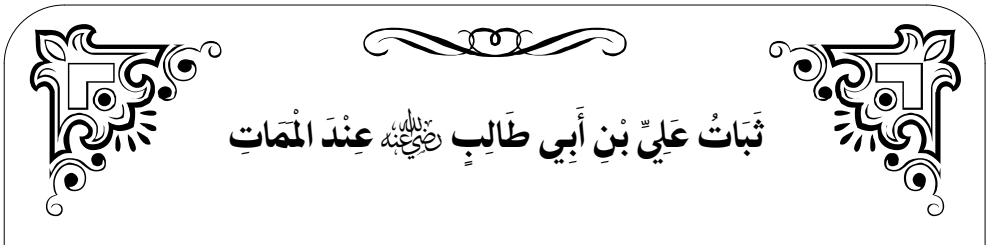

ثَبَاتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عِنْدَ الْمَمَاتِ

فَأَمَّا عَلِيٌّ رضي الله عنه اللَّيْثُ الْهَصُورُ وَالْهِزَبْرُ الْمَكِينُ[1] رضي الله عنه؛ فَيَأْتِيهِ مُؤَذِّنُهُ لِكَيْ يُؤْذِنَهُ بِالصَّلَاةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَدْ قُتِلَ فِي صُبْحِهَا، يُؤْذِنُهُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَيَتَثَاقَلُ، فَيَأْتِي لِكَيْ يُؤْذِنَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ فَيَتَثَاقَلُ.

ثُمَّ يَأْتِيهِ لِيُؤْذِنَهُ الثَّالِثَةَ فَيَقُومُ، وَكَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَلْهَمَهُ، وَكَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَطْلَعَهُ عَلَىٰ مَرْقَدِهِ وَعَلَىٰ دُنُوِّ أَجَلِهِ، وَهُوَ يَأْتِي إِلَيْهِ حَثِيثًا يَعْدُو بَلْ سَرِيعًا يَطِيرُ، فَيَخْرُجُ إِلَىٰ الْمَوْتِ قَائِلًا:

اشْـــدُدْ حَيَازِيمَـــكَ لِلْمَـــوْ تِ فَـــإِنَّ الْمَـــوْتَ لَاقِيـــكَ[2]

اشْـــدُدْ حَيَازِيمَـــكَ لِلْمَـــوْ تِ فَـــإِنَّ الْمَـــوْتَ لَاقِيـــكَ!!

---

(١) (الْمَكِينُ)، أي: المتمكن في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال، وأما (اللَّيْث) و(الْهَصُور) و(الْهِزَبْر) فمن أسماء الأسد القوي الشديد.

(٢) يُقَالُ لِلرَّجُلِ: (اُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِهَذَا الْأَمْرِ)، أَيْ: اسْتَعِدَّ لَهُ وَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَيْهِ، وَالْحَيْزُومُ: الصَّدْرُ وَمَا وَالَاهُ.

انظر: «**لسان العرب**»: (١٢/ ١٣٢)، مادة: (حزم).

وَيَأْتِيهِ ابْنُ مُلْجَمٍ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ- فَيَطْعَنُهُ مَا يَطْعَنُهُ، وَيُفْضِي الْإِمَامُ إِلَىٰ رَبِّهِ -رُضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-(١).

❀❀❀

(١) أخرج ابن سعد في «**الطبقات**»: (٣/ ٣٣-٣٤)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٨/ ٥١٢)، وإبراهيم الحربي في «**غريب الحديث**»: (٢/ ٤٧٦)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (١/ ١٠٥، رقم ١٦٩)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٢/ ٥٤٥، ترجمة ٤٩٣٣)، بإسناد حسن: أَنَّ عَلِيًّا دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الْبَيْعَةِ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيُّ فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: «مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا، لَتُخَضَّبَنَّ أَوْ لَتُصْبَغَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذَا»، يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ [البحر الهزج]:

اشْـــدُدْ حَيَازِيمَـــكَ لِلْمَـــوْ ... تِ فَـــإِنَّ الْمَـــوْتَ آتِيَـــكَ
وَلَا تَجْـــزَعْ مِـــنَ الْقَتْـــلِ ... إِذَا حَـــــلَّ بِوَادِيـــــكَ

وانظر: «**الكامل**» للمبرد: (٣/ ١٤٨)، و«**مجمع الأمثال**»: (١/ ٣٦٦-٣٦٧، رقم ١٩٦٩).

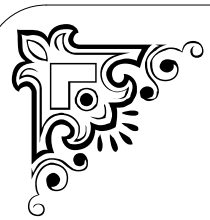

صُوَرٌ مِنْ ثَبَاتِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ سِنًّا رضي الله عنهم

إِنَّ الْإِحْسَانَ الَّذِي تَقَدَّمَ؛ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَا مَحَالَةَ.

وَلَمْ يَكُنِ الثَّبَاتُ عِنْدَ الْمَمَاتِ فِي الْكِبَارِ وَحْدَهُمْ؛ بَلْ فِي الصِّغَارِ -أَيْضًا-، وَدُونَكَ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ -وَهُوَ أَخُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ خَالِ النَّبِيِّ ﷺ-، فَأَمَّا عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ؛ فَفِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَالنَّاسُ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجِيزَ الْمُطِيقَ لِلْقِتَالِ لِيَتَقَدَّمَ، وَيَرُدَّ الصِّغَارَ وَالضَّعَفَةَ.

فَأَمَّا عُمَيْرٌ فَيَقُولُ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -أَخُوهُ-: «رَأَيْتُ عُمَيْرًا أَخِي يَوْمَ بَدْرٍ يَتَوَارَىٰ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟!!».

فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ سَيُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخْشَىٰ أَنْ يَرُدَّنِي فَلَا أَشْهَدُ الْيَوْمَ قِتَالًا، وَإِنِّي وَاللهِ لَأُحِبُّ أَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، وَأَذْهَبَ شَهِيدًا فَأَلْقَىٰ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

وَعُرِضَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَصْغَرَهُ وَرَدَّهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يُلْقِي بِأَصْحَابِهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ، هُوَ أَحَنُّ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، بَلْ أَحْنَىٰ وَأَحَنُّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُفُوسِهِمُ الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِهِمْ ﷺ.

وَلَكِنَّمَا الصَّحَابَةُ يُرِيدُونَ الشَّهَادَةَ، يَتَدَافَعُونَ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا.

رَدَّهُ فَبَكَىٰ؛ فَرَحِمَ شَوْقَهُ، وَحَنَىٰ عَلَىٰ لَهْفَتِهِ، وَأَجَازَ شَهَادَتَهُ فَقَدَّمَهُ، يَقُولُ سَعْدٌ: «وَوَاللهِ إِنِّي لَأَشُدُّ عَلَيْهِ حَمَائِلَ سَيْفِهِ لِصِغَرِهِ، حَتَّىٰ دَخَلَ الْمَعْرَكَةَ فَاسْتُشْهِدَ وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً رضي الله عنه»(١).

بَلْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ سِنًّا لَا مَقَامًا؛ فَأَمَّا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ؛ فَيَأْتِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُوهُ، فَأَمَّا أَبُوهُ فَمُطِيقٌ لِلْقِتَالِ، وَأَمَّا أَبُو سَعِيدٍ فَهُوَ فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَمَا يَبْلُغُ ابْنُ التَّاسِعَةِ أَنْ يَكُونَ؟!!

وَكَيْفَ يَلْقَىٰ ابْنُ التَّاسِعَةِ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سُفْيَانَ -وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا فِي بَدْرٍ-؟!! كَيْفَ يَلْقَىٰ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدِ فِي مَعَارِكَ يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهَا الْوِلْدَانُ؟!!

إِلَّا أَنَّهُ الشَّوْقُ الدَّفِينُ يَتَبَدَّىٰ عِنْدَمَا تَسْنَحُ الْفُرْصَةُ، وَعِنْدَمَا يُضِيءُ الْأُفُقُ بِنُورِ الشَّهَادَةِ الْأَحْمَرِ؛ لِأَنَّ لِلشَّهَادَةِ نُورًا أَحْمَرَ، كَمَا أَنَّ لِلْحُرِّيَّةِ بَابًا بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ؛ فَكَذَلِكَ لِلشَّهَادَةِ نُورٌ سَاطِعٌ؛ غَيْرَ أَنَّهُ نُورٌ عَجِيبٌ أَحْمَرُ!! فَإِذَا مَا بَدَا هَفَتْ إِلَيْهِ الْأَنْفُسُ كَمَا تَهْفُو الْفَرَاشَاتُ إِلَىٰ النُّورِ!!

---

(١) أخرجه الواقدي في «**المغازي**»: (١/ ٢١)، ومن طريقه: ابن سعد في «**الطبقات**»: (٣/ ١٤٩-١٥٠)، وأخرجه أيضا: البزار في «**المسند**»: (٣/ ٣١٣، رقم ١١٠٦)، والمروزي في «**السنة**»: (ص٤٦-٤٧، رقم ١٤٦)، والحاكم: (٣/ ١٨٨)، وأبو نعيم في «**معرفة الصحابة**»: (٤/ ٢٠٨٤، ترجمة ٢١٧٧)، بإسناد صحيح.

فَيَأْتِي أَبُو سَعِيدٍ -وَلَهُ تِسْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ- لِيُجِيزَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا يَبْلُغُ ابْنُ التَّاسِعَةِ أَنْ يَكُونَ فِي الْقِتَالِ وَهُوَ يَشُبُّ عَلَىٰ أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ؛ لِيُبْدِيَ لِلنَّبِيِّ أَنَّهُ صَارَ رَجُلًا مُطِيقًا!!

وَأَبُوهُ -وَهُوَ أَبٌ عَجِيبٌ جِدًّا، قَدْ لَا تَجِدُ لَهُ مِثَالًا الْيَوْمَ؛ بَلْ لَا تَجِدُ، لَا أَقُولُ عَلَىٰ الشَّكِّ قَدْ لَا تَجِدُ، أَوِ التَّرَدُّدِ، أَوِ التَّقْلِيلِ، وَإِنَّمَا أَقُولُهَا عَلَىٰ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ: لَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الْأَبِ الْيَوْمَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ-.

أَبُوهُ بِجَانِبِهِ، وَابْنُهُ فِي التَّاسِعَةِ يُعْرَضُ عَلَىٰ الرَّسُولِ لِيُجِيزَهُ فِي الْقِتَالِ، فَيَشُبُّ عَلَىٰ أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ؛ لِيُرِيَ النَّبِيَّ أَنَّهُ قَدْ صَارَ رَجُلًا، وَأَبُوهُ يُزَكِّيهِ، يَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَجِزْهُ وَأَدْخِلْهُ الْمَعْرَكَةَ؛ لِيَحْظَىٰ بِالشَّهَادَةِ؛ فَوَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ عَبْلُ الْعِظَامِ -يَعْنِي هُوَ وَلَدٌ مَتِينٌ مُكْتَمِلٌ- فَأَجِزْهُ يَا رَسُولَ اللهِ!!»(١).

أَيُّ أَبٍ هَذَا -بِاللهِ عَلَيْكُمْ-؟!!

لَا تَجِدُ مِثْلَهُ الْيَوْمَ، وَأَقْطَعُ بِذَلِكَ، يُقَدِّمُ وَلَدَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْفَرَ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ إِلَىٰ النَّفْسِ حَبِيبَةٌ، بَلْ كَانُوا يَتَدَافَعُونَهَا، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ؛ عَلَىٰ قَدْرِ مَا تَعْمَلُ

---

(١) أخرجه الواقدي كما في «**تاريخ الإسلام**»: (٢/ ٨٩٥، ترجمة ١٣٣)، ومن طريقه: ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٢٠/ ٣٨٦، ترجمة ٢٤٧٢)، وأخرجه أيضا: الحاكم: (٣/ ٥٦٣)، بإسناد لا بأس به، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ:
عُرِضْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَجَعَلَ أَبِي يَأْخُذُ بِيَدِي، فَيَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ عَبْلُ الْعِظَامِ [أي: ضخم العظام]، وَإِنْ كَانَ مُوْدَنًا [أي: قصيرا]».
قَالَ: وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَعِّدُ فِيَّ الْبَصَرَ وَيُصَوِّبُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**رُدَّهُ**»، فَرَدَّنِي.

هَا هُنَا تَجِدُهُ هُنَاكَ، وَ(هُنَاكَ) هَذِهِ تَبْدَأُ مِنْ عِنْدِ الْمَوْتِ؛ فَأَمَّا الثَّبَاتُ عِنْدَ الْمَمَاتِ؛ فَأَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ كَيْفَ كَانَ عَلَيْهِ السَّالِفُونَ رضي الله عنهم.

عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ لَمَّا أَنْ جَاءَهُ جَبَّارُ بْنُ سُلْمَىٰ الْكَلْبِيُّ، فَطَعَنَهُ فِي ظَهْرِهِ فَأَنْفَذَهُ -يَعْنِي: ضَرَبَهُ بِالرُّمْحِ فِي ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ-، فَخَرَجَ الرُّمْحُ مِنْ صَدْرِهِ مِنْ حَبَّةِ قَلْبِهِ وَمِنْ سُوَيْدَاءِ فُؤَادِهِ، وَالدَّمُ يَنْبَجِسُ مُنْفَجِرًا، كَأَنَّمَا يَتَصَاعَدُ إِلَىٰ السَّمَاءِ مَوَّارًا فَوَّارًا بِالطُّهْرِ وَالسُّمُوِّ كُلِّهِ، وَأَمَّا عَامِرٌ؛ فَيَتَلَقَّىٰ الدَّمَ بِيَدِهِ، وَيَقْذِفُ بِهِ جِهَةَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.. فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!!».

أَيُّ أُنَاسٍ هَؤُلَاءِ؟!!

كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقَعَ بِهِ مِثْلُ هَذَا الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنْ أَلَمٍ يَحُطُّ عَلَىٰ الْبَدَنِ؛ مِنَ انْتِظَامِ لِرُمْحٍ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ سِلْكُ السُّبْحَةِ فِيهَا فَيَخْرُجُ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنْ حَبَّاتِهَا، وَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَقُولُ -وَقَدْ أَخَذَ الدَّمَ الْمُنْبَجِسَ مِنْ قَلْبِهِ الطَّاهِرِ بِيَدَيْهِ، يُلْقِي بِهِ جِهَةَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.. فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!!».

وَأَمَّا الْمَوْقِفُ الصَّعْبُ الشَّدِيدُ الَّذِي وَقَفَهُ هَذَا الرَّجُلُ، فَتَسَامَىٰ فَوْقَهُ وَتَصَاعَدَ فَوْقَهُ سُمُوًّا صَاعِدًا إِلَىٰ عُلْيَا السَّمَاوَاتِ؛ فَيُؤَثِّرُ فِي قَلْبِ مَنْ ضَرَبَهُ.. فِي قَلْبِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ.. الَّذِي انْتَظَمَ حَبَّةَ قَلْبِهِ بِرُمْحِهِ فَأَنْفَذَهَا، ثُمَّ أَمَاتَهُ شَهِيدًا، مُقَرِّبًا إِيَّاهُ قُرْبَانًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا يَفْعَلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بَعْدَ حِينٍ رضي الله عنه.

فَأَمَّا جَبَّارُ بْنُ سُلْمَىٰ الْكَلْبِيُّ لَمَّا وَجَدَ الْأَمْرَ؛ قَالَ: وَمَا فُزْتُ هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ، يَقُولُ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ؛ بِأَيِّ شَيْءٍ فَازَ؟!!

قَالُوا: إِنَّمَا فَازَ بِالْجَنَّةِ.

فَلَمَّا أَنْ رَأَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: «أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»(١).

إِنَّ الطَّاعُونَ لَمَّا أَصَابَ (عَمَوَاسَ) -وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي الشَّامِ- فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ تَفَشَّىٰ الطَّاعُونُ، وَالطَّاعُونُ رَحْمَةٌ يُصِيبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ رِجْزٌ وَعِقَابٌ وَعَذَابٌ عَلَىٰ الْمُجْرِمِينَ الْكَافِرِينَ، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ غَرِقَ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه الواقدي في «**المغازي**»: (١/ ٣٤٩)، ومن طريقه: ابن سعد في «**الطبقات**»: (٢/ ٥٢) و(٣/ ٢٣١)، وأبو نعيم في «**الدلائل**»: (ص٥١٣-٥١٤، رقم ٤٤١)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٣/ ٣٥٣)، وابن عساكر في «**تاريخه**»: (٤/ ٣٤٣-٣٤٤)، وأخرجه أيضا: الطبري في «**تاريخ الرسل**»: (٢/ ٥٤٨)، من طريق آخر، بنحوه.
والحديث بمجموع الطريقين لا بأس به، وأصله في «الصحيحين» من رواية أَنَسٍ رضي الله عنه، في قصة مقتل خاله حرام بن ملحان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: (٣/ ١٥٢١، رقم ١٩١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ...**». الحديث.
والحديث في «الصحيحين» بلفظ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

فَمَنْ طُعِنَ -أَيْ مَاتَ بِالطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَمَّا تَفَشَّىٰ الطَّاعُونُ فِي (عَمَوَاسَ)، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، ذَهَبَ بِهِ شَهِيدًا لِلِقَاءِ رَبِّهِ؛ اسْتَخْلَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه وَالطَّاعُونُ يَتَفَشَّىٰ فِي النَّاسِ؛ فَيَقُولُ مُعَاذٌ رضي الله عنه -دَاعِيًا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حَظَّ آلِ مُعَاذٍ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فَاشِيًا».

فَعَادَ إِلَىٰ الْبَيْتِ فَوَجَدَ ابْنَاهُ قَدْ طُعِنَا -أَصَابَهُمَا الطَّاعُونُ- فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدَانِكُمَا؟

فَقَالَا: يَا أَبَتَاهُ! إِنَّ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ للهِ، ﴿**ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٧].

قال: يَا ابْنَاهُ! سَتَجِدَانِنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

فَهَلَكَا رضي الله عنهما، ثُمَّ طُعِنَتْ امْرَأَتَاهُ، فَاحْتَسَبَهُمَا عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ أُصِيبَ بِالطَّاعُونِ بِبُسْرَةٍ فِي إِبْهَامِهِ؛ فَكَانَ يَرْفَعُهَا إِلَىٰ فِيهِ وَيُقَبِّلُهَا، وَيَقُولُ: «الْحَمْدُ للهِ، صَغِيرَةٌ هِيَ؛ وَلَكِنَّكَ يَا اللهُ تُبَارِكُ فِي الصَّغِيرِ حَتَّىٰ يَكْبُرَ، فَاللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِيهَا»(١).

---

(١) أخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (٣/ ٥٨٨-٥٨٩) و(٧/ ٣٨٨)، وأحمد في «**المسند**»: (١/ ١٩٦، رقم ١٦٩٧)، والطبري في «**تاريخه**»: (٤/ ٦١-٦٢)، وابن عساكر في «**تاريخه**»: (٥٨/ ٤٤١-٤٤٢)، وابن الجوزي في «**الثبات عند الممات**»: (ص١١٦-١١٧)، بإسنادين لا بأس بمجموعهما.

وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَنَزَعَ نَزْعًا شَدِيدًا، وَكَانَ يُخْنَقُ خَنْقًا مَا بَعْدَهُ مِنْ خَنْقٍ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ لِرَبِّهِ: «يَا رَبِّ! اخْنُقْنِي مَا شِئْتَ أَنْ تَخْنُقَ، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ!!»(١).

أَيُّ مَحَبَّةٍ هَذِهِ طَغَتْ فَعَمَّتْ وَطَمَّتْ عَلَىٰ أَرْجَاءِ الدُّنْيَا، فَأَحَالَتِ الْحَيَاةَ؟!! لَا شَيْءَ.. هَبَاءً مَنْثُورًا، كَالْهَبَاءَةِ عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي بَصِيصٍ مِنْ شُعَاعٍ يَتَسَلَّلُ فِي يَوْمٍ شَاتٍ عَقِيمٍ، تَتَسَلَّلُ بِهِ الشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْغَمَامِ، فَتُرْسِلُ ضَوْءًا وَاحِدًا، فَيَتَسَلَّلُ مِنْ خَصَاصِ بَابٍ أَوْ نَافِذَةٍ، فَتَنْظُرُ الْهَبَاءَةَ فِي ذَلِكَ الْهَبَاءِ، تَصِيرُ الْحَيَاةُ كَذَلِكَ أَرْضًا وَسَمَاءً، وَأَمَّا الْبَاقِيَةُ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.

❀❀❀

(١) أخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (٣/ ٥٨٩)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٣/ ٣٤٧)، وابن أبي الدنيا في «**المحتضرين**» ضمن موسوعته الحديثية: (٥/ ٣٥٨-٣٦٦، رقم ١٢٦-١٦٤)، والبزار في «**المسند**»: (٧/ ١١٤-١١٥، رقم ٢٦٧١)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (١/ ٢٤٠) و(٥/ ١٠٣)، وابن عساكر في «**تاريخه**»: (٥٨/ ٤٥٠ و٤٥٢)، من طرق يشد بعضها بعضا.

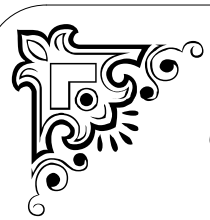

صُوَرٌ مِنْ ثَبَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عِنْدَ الْمَوْتِ

عِبَادَ اللهِ! لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَحْدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ الثَّبَاتُ عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَإِنَّمَا صَارَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ رضي الله عنهم مَنْ كَانَ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ؛ وَإِنْ حُطَّ عَنْ دَرَجَتِهِمْ.

مِنْهُمْ إِمَامُنَا الْكَبِيرُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ رحمه الله لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: «يَا ابْنِي! ائْتِنِي بِالْجُزْءِ الَّذِي فِيهِ حَدِيثُ طَاوُوسَ».

فَجَاءَ بِهِ، فَقَالَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ».

فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنَ الْأَثْبَاتِ يَكْرَهُونَ الْأَنِينَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَكَانَ أَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَيْهِ جُزْءُ طَاوُوسَ يَئِنُّ عِنْدَ نَزْعِهِ وَفِي احْتِضَارِهِ، فَلَمَّا كُرِهَ ذَلِكَ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهَهُ، فَمَا أَنَّ أَحْمَدُ حَتَّىٰ مَاتَ رحمه الله(١).

وَكَانَ وَلَدُهُ بِجِوَارِهِ يَأْخُذُ خِرْقَةً مَبْلُولَةً فَيَمْسَحُ بِهَا جَبِينَهُ وَرَشْحَهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) أخرجه صالح بن الإمام أحمد في «**سيرة أبيه**»: بَاب فِي ذكر مَرضه، (ص١٢٧)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٩/ ١٨٣، ترجمة ٤٤٥)، وابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٥٤٥-٥٤٦)، وفي «**الثبات عند الممات**»: (ص١٥٩-١٦٠).

ﷺ قَالَ: «**يَمُوتُ الْمُؤْمِنُ بِرَشْحِ الْجَبِينِ**»(١).

وَهِيَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، فَمَنْ مَاتَ فِي عَرَقٍ غَزِيرٍ بِرَشْحٍ شَدِيدٍ فَهُوَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَلَىٰ رَجَاءِ الْقَبُولِ عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجِنَانِ -إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-.

يَأْخُذُ الْخِرْقَةَ الْمَبْلُولَةَ، يَمْسَحُ بِهَا عَرَقَ الْإِمَامِ، وَتَأْخُذُهُ الْغَاشِيَةُ مِنْ بَعْدِ الْغَاشِيَةِ، وَتَنْزِلُ بِهِ النَّازِلَةُ تِلْوَ النَّازِلَةِ، فَيُغْشَىٰ عَلَيْهِ وَيُفِيقُ.

فَإِذَا مَا أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ عَقْلِهِ الَّذِي مَا غُيِّبَ قَطُّ وَمَا غَفُلَ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ لَحْظَةً، يَقُولُ أَبُو زُرْعَةَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: «إِنَّ أَبَاكَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ -مِلْيُونًا مِنَ الْأَحَادِيثِ- بِأَسَانِيدِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَيَقُولُ لَهُ وَلَدُهُ -وَقَدِ اسْتَكْثَرَ الْعَدَدَ-: «وَمَا يُدْرِيكَ -أَيْ هَذَا الْعَدَدَ- أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ؟!!».

فَيَقُولُ: «ذَاكَرْتُهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي: (٣/ ٣٠١-٣٠٢، رقم ٩٨٢)، والنسائي: (٤/ ٥-٦)، وابن ماجه: (١/ ٤٦٧، رقم ١٤٥٢)، من حديث: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**».
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث صحح إسناده في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (١/ ٥٠٥، رقم ١٦١٠).

(٢) أخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (٦/ ١٠٠، ترجمة ٢٥٨٦)، ومن طريقه: ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٥/ ٢٩٦، ترجمة ١٣٦)، وابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٧٣)، بإسناد صحيح.

فَإِذَا مَا أَخَذَتْ بِهِ الْغَاشِيَةُ، وَذَهَبَ بِهِ الْإِغْمَاءُ، وَكَانَ فِيهِ مُقَارَبًا يَرُوحُ وَيَجِيءُ؛ يَقُولُ: «لَا، لَا، لَيْسَ بَعْدُ!!».

وَأَمَّا وَلَدُهُ بِجوَارِهِ فَيَقُولُ لَهُ: «يَا أَبَتِ!»؛ وَيَظُنُّ أَنَّهَا الْغَاشِيَةُ الَّتِي تَذْهَبُ بِالنَّفْسِ الْفَانِيَةِ إِلَىٰ لِقَاءِ رَبِّ الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ، فَيَقُولُ لَهُ: «يَا أَبَتَاهُ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَالْإِمَامُ عَنْهُ فِي شُغُلٍ، فَيَقُولُ: «لَا لَا، لَيْسَ بَعْدُ».

وَالْهَمُّ يَأْخُذُ بِقَلْبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، يَظُنُّ أَنَّ أَبَاهُ رَحِمَهُ اللهُ سَيَخْرُجُ عَلَىٰ دَفْعِ الشَّهَادَةِ الْمُكَرَّمَةِ وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَا كَانَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِأَوْلِيَائِهِ، وَالْمُدَافِعِينَ عَنْ حَدِيثِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يَقُولُ: «لَا لَا لَيْسَ بَعْدُ».

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «يَا أَبَتِ! وَاللهِ لَقَدْ أَسِيتُ لَكَ، وَأَشْفَقْتُ عَلَيْكَ، أَقُولُ لَكَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَتَقُولُ لِي: لَا لَا لَيْسَ بَعْدُ؟!!».

قَالَ: «يَا ابْنِي! وَاللهِ إِنِّي لَفِي شُغُلٍ عَنْكَ، وَإِنَّمَا هَذَا إِبْلِيسُ قَدْ عَرَضَ لِي، وَقَدْ عَضَّ عَلَىٰ إِبْهَامِهِ نَدَمًا، وَيَقُولُ: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ.. فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ؛ يَعْنِي: أَصْبَحْتَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَنَا الَّذِي أَخَذْتُ الْعَهْدَ عَلَىٰ نَفْسِي أَمَامَ اللهِ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، يَقُولُ: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ، فَأَقُولُ لَهُ: لَا لَا لَيْسَ بَعْدُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ هَذِهِ مِنْ تِلْكَ، وَحَتَّىٰ تَعُودَ الرُّوحُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَنَا لَا أُخَاطِبُكَ»[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٩/ ١٨٣، ترجمة ٤٤٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٣/ ٢٥٦-٢٥٧، رقم ٨٢٦)، وابن أبي يعلىٰ في «**طبقات الحنابلة**»: =

تَمَامًا كَمَا جَاءَتِ الْأُخْتُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ فِي النَّزْعِ يَمُوتُ، فَبَكَتْ.

فَقَالَ: «لَا تَبْكِ؛ انْظُرِي إِلَىٰ تِلْكَ الْخَزَانَةِ أَوِ الزَّاوِيَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ قَدْ خَتَمَ أَخُوكِ فِي هَذِهِ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ»(١).

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ؛ بَكَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: لَا تَبْكِينَ، فَقَدْ خَتَمْتُ الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَرْبَعَةَ آلَافِ خَتْمَةٍ»(٢).

وَأَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ الَّذِي يَأْتِيهِ أَجَلُهُ؛ فَيَأْتِي إِلَيْهِ وَلَدُهُ يُلَقِّنُهُ، يَقُولُ: «يَا أَبَتَاهُ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

=

(١/ ١٧٥، ترجمة ٢٣٢)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٥/ ٣٢٤-٣٢٥، ترجمة ١٣٦)، وابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٥٤٦-٥٤٧)، وفي «**الثبات عند الممات**»: (ص١٦٠)، بإسناد صحيح.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٨/ ٣٠٤، ترجمة ٤٢١)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٦/ ٥٥٦، ترجمة ٧٦٥٠)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات»: (ص١٥٥)، بإسناد صحيح.

وفي رواية عن إِبْرَاهِيم بْن أبي بَكْر بْن عياش، قَالَ: بكيتُ عِنْدَ أبي حين حضرته الوفاة، فقال لي: «ما يُبكيك؟! أترىٰ الله يضيع لأبيك أربعين سنة يَختم فيها القرآن كل ليلة؟».

(٢) أخرجه أبو سعيد ابن الأعرابي في «**معجمه**»: (٣/ ١٠٨٢، رقم ٢٣٣٣)، ومن طريقه: الخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (١١/ ٧٥، ترجمة ٤٩٨١)، وابن الجوزي في «**الثبات عند الممات**»: (ص١٥٤-١٥٥).

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: «أَثْقَلْتَ عَلَيَّ يَا وَلَدِي، قُمْ عَنِّي؛ فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي وِرْدِي السَّادِسِ، أَوْ فِي وِرْدِي السَّابِعِ!!»(١).

رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؟!!

بِالْإِحْسَانِ فِي هَذِهِ الْفَانِيَةِ، سَتَلْقَاهُ هُنَاكَ عَلَىٰ عَتَبَاتِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ وَلَا تَحُولُ، عِنْدَ عَتَبَاتِ قَبْرٍ؛ فَأَمَّا فِرَاشُكَ فِيهِ فَالتُّرَابُ، وَأَمَّا جَلِيسُكَ وَأَنِيسُكَ فِيهِ؛ فَالدُّودُ وَالْخَرَابُ، وَأَمَّا الْوَحْدَةُ وَالْوَحْشَةُ؛ فَحَدِّثْ عَنْ ذَلِكَ وَلَا حَرَجَ!!

وَأَمَّا الْأَحِبَّاءُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ؛ فَيَنْصَرِفُونَ عَنْكَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَلَا يَدْخُلُ مَعَكَ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ؛ فَإِنَّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ قَدَمِهِ فَإِنَّهُ لَا يَضِيعُ، وَكَذَلِكَ تَجِدُ عُلَمَاءَنَا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ-.

فَأَمَّا مَنْ سَارَ عَلَىٰ قَدَمِ نَبِيِّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضِيعُ، لَا هُنَا وَلَا هُنَاكَ، وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في «**المحتضرين**» ضمن موسوعته الحديثية: (٥/ ٣٦٥، رقم ١٥٩)، وأبو القاسم البغوي في «**حديث ابن الجعد**»: (ص٢١٢، رقم ١٣٩٨)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٢/ ٣٢٢، ترجمة ١٩٧)، وابن الجوزي في «**الثبات عند الممات**»: (ص١٤٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، قَالَ: ذَهَبْتُ أُلَقِّنُ أَبِي، وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: «يَا بُنَيَّ، خَلِّ عَنِّي [وفي رواية: دَعْنِي]؛ فَإِنِّي فِي وِرْدِي السَّادِسِ، أَوِ السَّابِعِ».
قال ابن أبي الدنيا: «كَأَنَّهُ يَقْرَأُ وَنَفْسُهُ تَخْرُجُ».

فَقَدْ جُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ(١).

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ**»(٢).

إِذَا كَانَ النَّبِيُّ قَدْ سَأَلَهَا؛ فَكَيْفَ بِنَا نَحْنُ؟!!

وَمَا إِيمَانُنَا بِجِوَارِ إِيمَانِهِ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ فِي صَحْرَاءَ مُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ، أَوْ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ لَيْسَ لَهُ سَاحِلٌ وَمَا لَهُ مِنْ قَرَارٍ!!

إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَأَلَهَا، يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْهَا أَنْ يَتَخَبَّطَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَهُوَ هُوَ ﷺ، فَكَيْفَ بِي وَبِكَ مِمَّنْ لَا إِيمَانَ لَنَا بِجِوَارِ إِيمَانِ نَبِيِّنَا إِلَّا كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ اللُّجِّيِّ، أَوْ كَالْحَبَّةِ مِنَ الرَّمْلِ فِي الصَّحْرَاءِ الْمُتَرَامِيَةِ؟!!

اللَّهُمَّ غُفْرًا، وَسَلِّمْ سَلِّمْ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.(*).

---

(١) ذكره البخاري معلقا بالتمريض في «**الصحيح**»: (٦/ ٩٨)، وأخرجه موصولا: أبو داود: (٤/ ٤٤، رقم ٤٠٣١) مختصرا، وأخرجه بتمامه: أحمد: (٢/ ٥٠ و٩٢)، وعبد بن حميد كما في «**المنتخب**»: (ص٢٦٧، رقم ٨٤٨)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٢/ ٤١٧، رقم ١١٥٤)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٠٩، رقم ١٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود: (٢/ ٩٢، رقم ١٥٥٢)، والنسائي: (٨/ ٢٨٢ و٢٨٣)، من حديث: أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والحديث صحح إسناده الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٥/ ٢٧٤-٢٧٦، رقم ١٣٨٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الثَّبَاتُ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ».

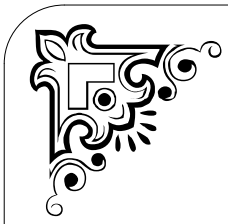

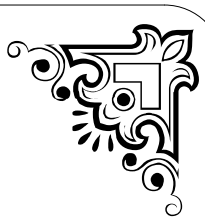

شِدَّةُ الْمَوْتِ وَأَلَمُهُ

الْمَوْتُ فِي شِدَّتِهِ وَفِي أَلِيمِ وَقْعِهِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنْ ثَابِتٍ وَمُهْتَزٍّ، وَمِنْ مُؤَيَّدٍ، وَمِنْ مَخْذُولٍ.

الْمَوْتُ حَقٌّ، هُوَ لَاحِقٌ جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ مَتَىٰ قَدَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وُقُوعَهُ عَلَيْهِمْ؛ لَا يَدْرُونَ مَتَىٰ يَقَعُ؟ وَلَا أَيْنَ يَقَعُ؟ وَلَا كَيْفَ يَقَعُ؟

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَقْرَبُ لِأَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ؛ رَأَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ؛ وَيَرَاهُمَا مَعًا؛ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ قِيلَ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَيْرًا مِنْهُ؛ فَيَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ حَالِهِ، بَلْ فِي حَالِ احْتِضَارِهِ يَأْتِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَصِيرِهِ وَمَآلِهِ؛ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي حَالِ الِاحْتِضَارِ وَالنَّزْعِ؛ يَأْتِيهِ مَلَائِكَةٌ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ وَالثَّبَاتِ وَالْبِرِّ؛ جَاءَهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَكُونُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّلَاحِ وَالشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ -إِنْ كَانَتْ ثِيَابًا-، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «وَاعِظُ الْمَوْتِ» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣١هـ/ ٢١-٥-٢٠١٠م.

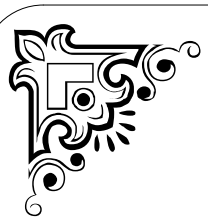

الْمَقَابِرُ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدْ نَهَىٰ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ أَمَرَ -بَعْدُ- بِزِيَارَتِهَا، فَقَالَ ﷺ: «**كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(١).

فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَقْبَرَةُ مُذَكِّرًا بِالْآخِرَةِ وَبِهَوْلِ الْمَطْلَعِ، وَبِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ كَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ عَلِيٍّ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه، فَدَخَلَ الْجَبَّانَةَ، وَجَازَ بِالْمَقَابِرِ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ! خَبَّرُونَا أَوْ نُخَبِّرُكُمْ، فَلَمَّا لَمْ يُجِيبُوا، قَالَ: أَمَّا النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِكُمْ فقَدْ تَزَوَّجْنَ، وَأَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِّمَتْ، وَأَمَّا نَحْنُ فَعَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ»(٢).

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ٦٧٢، رقم ٩٧٧) ، والترمذي: (٣/ ٣٦١، رقم ١٠٥٤) ، والنسائي: (٤/ ٨٩) و (٧/ ٢٣٤) ، وأحمد: (٥/ ٣٥٥)، من حديث: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «**الثقات**»: (٩/ ٢٣٤-٢٣٥، ترجمة هِشَام بن كَامِل البيوردي)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٢/ ٤٩٨-٤٩٩، ترجمة ٤٩٣٣) و(٥٨/ ٧٩-٨٠، ترجمة ٧٤١٣)، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنحوه.

عِبَادَ اللهِ! يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْقُبُورُ مُذَكِّرًا لَنَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ، وَحَاثًّا لَنَا عَلَىٰ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ أَمْرِ الْبَاقِيَةِ وَالْإِدْبَارِ عَنِ الْفَانِيَةِ، لَا أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ عِنْدَ الْقُبُورِ، وَلَا أَنْ يَتَوَقَّفُوا بَعِيدًا عَنْ قَبْرِ الْمُشَيَّعِ مِنْ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ يَلْغُونَ بِأَقْوَالٍ لَا قِيمَةَ لَهَا؛ فِيهَا الْإِثْمُ، وَفِيهَا الزُّورُ، وَفِيهَا الْكَذِبُ، وَفِيهَا الْبُهْتَانُ!!

يَذْهَبُ الرَّجُلُ لِكَيْ يُذَكَّرَ الْآخِرَةَ، فَلَا يَعُودُ إِلَّا مَأْزُورًا، فَرَجَعَ مَأْزُورًا غَيْرَ مَأْجُورٍ!!

فَيَا لَيْتَهُ مَا ذَهَبَ، وَلَيْتَهُ مَا سَعَىٰ؛ فَقَدْ عَادَ بِالْوِزْرِ، لَا بِالْأَجْرِ!!

وَأَمَّا الصَّالِحُونَ؛ فَعَلَامَتُهُمْ إِذَا مَا دَخَلُوا الْمَقَابِرَ: أَنْ تُحْدِثَ فِيهِمُ الرِّقَّةَ، وَأَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِمْ بِالْخَشْيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ ثُمَّ يَعُودُونَ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ ثُمَّ يَعُودُونَ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَلَا يَعُودُونَ!!

تُشَيِّعُونَ ثُمَّ تَرْتَدُّونَ، ثُمَّ تُشَيِّعُونَ ثُمَّ تَرْتَدُّونَ، ثُمَّ يُوشِكُ أَنْ تُشَيَّعُوا فَلَا تَعُودُوا!!

اسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

عِبَادَ اللهِ! تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَذَكَّرُوا جَلَالَ الْمَوْتِ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْنَا الْأُمُورَ كُلَّهَا؛ حَتَّىٰ نُقْبِلَ عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنْ نُدْبِرَ عَنِ الدُّنْيَا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ وَلَا مَحْزُونِينَ.

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَارْجِعُوا إِلَيْهِ!

وَأَنِيبُوا إِلَيْهِ، وَأَسْلِمُوا وُجُوهَكُمْ وَقَوَالِبَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَقَبَّلُ الصَّالِحِينَ، وَيَتَقَبَّلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَهُوَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ عَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الثَّبَاتُ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ».

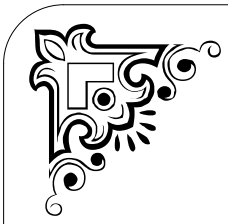

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

حَقِيقَةُ الْمَوْتِ وَضَعْفُ الِاسْتِعْدَادِ لَهُ ٣

ثَبَاتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عِنْدَ الْمَمَاتِ ٥

صُوَرٌ مِنْ ثَبَاتِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ سِنًّا رضي الله عنهم ٧

صُوَرٌ مِنْ ثَبَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عِنْدَ الْمَوْتِ ١٤

شِدَّةُ الْمَوْتِ وَأَلَمُهُ ٢٠

الْمَقَابِرُ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ ٢٢

الْفِهْرِسُ ٢٥